المقدمة

إن تاريخ البشرية ؛ إنما هو تاريخ لمحاولة الإنسان التعرف على العالم المحيط به .. والغريب عنه .. لقد ناضل أولاً ضد القوى الحيوانية التى تحول بينه وبين ذلك ، ثم أخذ يناضل القوى المماثلة له .. فتكونت القبيلة ، ثم الأمة ، واندفعت الأمم من آقاليمها إلى الآقاليم المجاورة تكتشفها آفاقًا جديدة .. ثم بدأ ينطلق نحو الفضاء الخارجى عبر الكواكب ، ويغوص في أعماق البحار ، والمحيطات بحثًا عن المعرفة .. ورغبة فى الإمتلاك ..

بدأت كل هذه الرحلات ضيقة ، ثم اتسعت آفاقها مع مرور الزمن ، فالإنسان وُلِد راحلاً ، وإن أعجزته الرحلة .. تخيل رحلات غير محسوسة ؛ تخطى الجبال ، وعبر البحار .. وركب بساط الريح .. سجل لنا التاريخ رحلات ألف ليلة وليلة ، وحي بن يقظان ، والتوابع والزوابع ، ورحلة دانتي في الكوميديا الإلهية .. ورحلة الشاعر التركي العبقري الشيخ غالب إلي مدنية القلوب « حسن وعشق » . كما نجد ذلك بين ثنايا الآساطير ، ودوافع الحروب ..

سجل المصريون رحلاتهم على جدران المعابد ، وخاض الفينيقيون عباب المحيط الآطلسي ، وخلَّف الإغريق مستعمراتهم فى البحرين ؛ الأبيض والأسود ، وعنوا جميعًا عناية واسعة بوصف البلدان ، والأقاليم التى رأووها ، وقدموا الكثير من المعارف الجغرافية .

زار هيرودوت مصر ، وقبرص ، وفنيقيا ، وآشور ، وإيران وتوغل فى الشمال ، وتخطى البوسفور ، وأوْدَع مشاهداته فى هذه الزيارات أو الرحلات تاريخه الكبير .. ثم أعقبه « بلوتارك » الذى عنى بتاريخ اليونان ، والرومان .. ومنه استمد شكسبير الكثير من روائع مسرحياته ..

تصبح روما عاصمة العالم ، ويتوغل بحارتها ، وفرسانها فى ربوع إمبراطوريتها الشاسعة .. وتصل سفنهم إلي جزر الكاناريا في المحيط الأطلسي ..

ثم كان الفتح العربي للهند ، والصين ، وجبال البرانس .. ومن التركستان وجبال القوقاز إلى السودان ... وبلاد الحبش .... أصبح كل ذلك عالمًا موحدًا مشتركا فى

العقيدة .. واللغة ، وامتزجت الثقافات ، فخلقت نتاجًا حضاريًا مميزًا ... وصف جغرافيوهم مدن هذا العالم ، وبلدانه ، وكذلك سكانه ، وعاداتهم ، وآعرافهم ..

عَرِفت حضارتنا ومكتباتنا العامة كتب المسالك والممالك ، وطرق الحج والقوافل .. وكثرت الرحلات بين المسلمين ، وعندهم ، وتنوعت بتنوع آسبابها ، وحوافزها .. ونشأت عند الكثيرين منهم محبة المجازفة ، والمغامرة فيما وراء المعروف .. وليس من العبث أن نجد فى تراثنا رحلات السندباد .. وابن ماجد ..

فتحت الحروب الصليبية آفاقًا نحو الشرق ، فأخذ الأوربيون فى تسجيل أسفارهم ، ورحلاتهم ..

كانت الرحلة عنصراً مهما ، وقويًا فى حياة المجتمع الإسلامي ، خلال عصور إزدهاره .. رحل الناس لزيارة مهبط الوحي .. ولقوا في ذلك الكثير من الصعاب ... وتحمَّلوها راضين مسرورين .... رحل الناس فى طلب العلم حيث مراكزه المضيئة .. كان طلاب العلم يتحملون من المشاق فى سبيل الحصول عليه ، ما يحملنا على إحترامهم ، وإجلالهم .. ورحل القوم فى سبيل الإتجار ، وطلبًا للربح ، والثراء .. فقد كانت الأسواق الإسلامية ، فى مشارق الأرض ، ومغاربها مفتوحة الأبواب ، مرتبطة ببعضها كل الإرتباط .. وتكمل بعضها بعضاً .. وكان التجار يحملون مع بضائعهم ؛ أحلامهم ، وثقافاتهم ، ومعتقداتهم ..

رحل الناس كسفراء بين الملوك ، والحكام .. كما رحلوا طلبًا ، ورغبة فى لذة السفر ، والرحلة فى حد ذاتها .. أو رحلوا طلبًا للرزق إذ ضاقت بهم حدودهم ..

عرف المسلمون كل هذه النماذج من الرحلات .. وقد شجعهم على الإستزادة منها قلة الحدود المضروبة .. والعراقيل المفروضة ... فلما ذهبت الوحدة السياسية ، وضربت الحدود ، وشُدَّت الأسلاك الشائكة بقيت وحدة العقيدة .. ووحدة اللغة .. فربطتا الحجاج ، وطلاب العلم ، ورسل الحكام ، وحملة البضائع ، وزعماء الحرف ، والصنائع فاحتفظوا بالصلة ..

لقد دوَّن الكثير من الرحَّالة أسفارهم ، ومشاهداتهم .. فذكروا الأرض التى

زاروها .. والوديان التى نزلوها .. والجبال التى قطعوها .. والصعوبات التى واجهوها .. قيَّدوا ما رأوا من آثار .. وسجلوا ما وعته الذاكرة من العادات والأعراف .. وسمات الثقافات ولطائف الأخبار ..

إن هذه اللفتات التى نعثر عليها فى كتب الرحلات هي التي تُميز الرحَّالة عن الجغرافي .. فالجغرافي ؛ يسأل ، ويستقصي ، ويقيس ويحقق ، ويحاول أن يحتوي كل جزء من المنطقة التى يعرض لدراستها ، أما الرحالة فيلتقط ما يُشاهده من جزئيات .. ويرسم لنا منها صورة .. تتطابق .. وتتشابك آحيانًا .. وربما تتنافر وتتباعد أحيانًا أخرى ....ففيها ذاتية المشاهد .. وموضوعية الموجود ..

أدب الرحلات:

﴿ لإيلافِ قُرَيْشٍ ① إيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② ﴾ (*) فكان لقريش رحلتان ؛ رحلة الشتاء ، ورحلة الصيف .. وكانتا للتجارة .. ذلك لأن أهل مكة كانوا تجاراً .. وكانت قوافلهم تنقل المتاجر من اليمن إلى الشام ، وتحمل بضائع الشام إلى اليمن ..

الفتوح العربية الإسلامية ، فتحت الأفاق ، وآتسعت رقعة الإتجار ، وتبادل السلع والمتاجر .. وكان التجار يتعرفون على اهل الديار وثقافاتهم ، وكانت هذه المعرفة تنتقل رواية ، وآخباراً حتى قيض الله لها مَنْ يدونها ، وتُصبح جزءاً من التراث الأدبي للرحلة .

رحل الناس فى طلب العلم من مكان إلي آخر ، فهذا بغدادى يشد الرحال إلى دمشق وهذا دمشقى يقصد بخارى ، وهذا تونسى إلى القاهرة وهذا قاهري يطلب العلم فى فاس ... وهذه الرحلة فى طلب العلم ؛ كانت أحرى بأن تُدوَّن أخبارها ، وتبقى آثارها من أخبار تنقل التجار ، وآصحاب الآعمال .. ومن هذه ، وتلك وصلت إلينا أخبار ، وأخبار هي من مفاخر التراث الإسلامي .

جاء الإسلام ، ففرض الحج علي المؤمنين ، ولو أنه جعل الإستطاعة شرطًا ، والذين استطاعوا إلي الحج سبيلاً ، فى هذا التاريخ الطويل ، كثر . ولم يكن جميعهم ممن

(*) سورة قريش الآيتان ١ ، ٢ .

يدون آخبار أسفاره . . ولكن حركة التنقل هذه حفزت الكثيرين من أهل العلم إلي تدوين مشاهداتهم ، فخرج من ذلك أيضًا تراث في أدب الرحلات الإسلامي الشيئ الكثير . .

وإلى جانب التاجر ، وطالب العلم ، والحاج ، والسفير يقوم الرحَّالة المحترف ، أو الهاوى برحلته من أجل الرحلة ذاتها . . ويدونها من وجهة نظره هو . .

ولما كانت الرحلة التى نحن بصددها ، تُعتبر من رحلات الحج ، فيجدر بنا أن نلقي بعضٍ من بصيص الضوء على رحلات الحج التي سبقت رحلة آوليا چلبى . والتى سوف نفرد لها الحديث فى حينه ، وعند الحديث عن كتابه الشهير «**سياحتنامه**» . حتى تعم الفائدة .

رحلات الحج[1] :

لم تنل كتب الرحلات التى أُلفت في وصف طريق الحج ومشاعره المقدسة وآثاره ، ووصف المدينتين الكريمتين [مكة] و (طيبة) ما تستحقه من الدراسة ، مع إعتبارها من أوفى المراجع وأوثقها ، وأشملها ، عما يتعلق بالحجاز من النواحي التاريخية ، والإجتماعية ، والاقتصادية والثقافية ، والجغرافية منذ تدوين تلك الرحلات إلى عصرنا الحاضر .

مكة المكرمة من الناحية الثقافية :

ولقد كانت مكة – وما تزال – نقطة التقاء ، مركز تجمعٌ ، لجميع المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية ، ولهذا كانت من أقوى مراكز نشر الثقافة بين تلك الأقطار ، وكانت صلة وصل بين علماء الأقطار الإسلامية ، في شرق البلاد وغربها ، وشمالها وجنوبها فى مختلف العصور الماضية ، ومع انصراف العلماء وغيرهم عن الجزيرة العربية بعد الهجرة بما يزيد على نصف قرن من الزمان ؛ أي منذ انتقال مركز الخلافة منها ، وبانتقال الخلافة . والسلطان ، والدولة تنتقل الرغبات ، وتتجه الابصار

---

(١) آخذنا هذا العنوان ، وهذا الجزء بتصرف عن كتاب ؛ فى رحاب الحرمين (١) أشهر رحلات الحج – ١– ملخص رحلتى ابن عبد السلام الدَّرعي المغربي المتوفى سنة ١٢٣٩ هـ تاليف ؛ حمد الجاسر ، الطبعة الأولى شوال ١٤٠٢ هـ = أغسطس ١٩٨٢ م منشورات دار الرفاعى للنشر ، والطباعة ، والتوزيع . بالرياض . م . ع . السعودية .

وتتركز الآمال حيث يوجد الملك والسلطان ، اللذان بهما تتيسر سبل الحياة وتحصل الطمأنينة والهدوء فى كنفهما – مع ذلك الانصراف فإنَّ مكة المكرمة لها مكانة دينية فى نفس كل مسلم تجعلها دائما – ما بقى المسلمون – مطمح انظارهم فهي – فضلاً عن كونها تضم مشاعر الحج – وفيها بيت الله المعظم – محط انظارهم وهم بحكم دينهم الحنيف – لا يمكن أن ينصرفوا عنها ، ولهذا فقد اصبحت منذ جاء الإسلام مركزاً للثقافة الإسلامية العربية ، يجتمع فيها من العلماء في كل عام ما لا يجتمع في أية مدينة أخرى من مدن الإسلام .

وكان العلماء في العصور الأولى يقصدونها من مختلف أقطار العالم الإسلامي ليؤدُّوا ركنا من اركان دينهم أداؤه فرض ، وليضيفوا إلى ذلك أموراً من أهمها التزود بزاد العلم والمعرفة ، فالعالم يفد إليها من أقصى المشرق أو المغرب فيلتقى بعالم آخر من بلاد بعيدة عن بلاده فيحصل من هذا الالتقاء تقارب وتفاهم ، واستزادة علم ، وامتداد لروافد المعرفة ، وانتشار للأفكار بين مختلف الأقطار الاسلامية ، ولقد كان علماء الاندلس يفدون إلى مكة المكرمة لا للحج وحده ولكن لينشروا علماً ولستزيدوا منه ، وليكونوا صلة بين شرق البلاد وغربها بالعلم والثقافة .

ولو أراد باحث أو دارس أن يحاول التأليف عن صلة الأندلسيين بمكة من الناحية الثقافية لوجد الأمر أوسع مما يتصور ، ولنستعرض كتابين عن الأندلس احدهما ، « نفح الطيب » للمقَّري – القاف مفتوحة مشددة – والثانى « فهرست مارواه أبو بكر محمد بن خير الاشبيلي » استعراضاً سريعاً لمعرفة بعض العلماء الذين رحلوا من الأندلس إلى مكة فيما بين القرنين الثالث والسابع ممن كانوا رسل علم ، وحملة ثقافة ومعرفة ، ففي الثالث نجد من بين أولئك العلماء :

١– يحيى بن يحيى الليثي (٢٣٤ هـ = ٨٤٨م) راوى الموطأ تلقى العلم بمكة عن سفيان بن عيينة وغيره .

٢– ثابت بن حزم السرقسطي وابنه قاسم سمعا بمكة سنة (٢٨٨ هـ = ٩٠٠ م) من الهجري وغيره .

٣– زكريا بن خطاب التطيلّي : رحل من الأندلس سنة (٢٩٥ هـ = ٩٠٧ م) فسمع بمكة كتاب « النسب » لعالم الحجاز الزبير بن بكار المتوفي سنة (٢٥٦ هـ =

٨٦٩ م) سمعه من الجرجاني عن علي بن عبد العزيز عن مؤلفه ، كما سمع بمكة « موطأ مالك » من ابراهيم بن سعيد الحذاء ، وكلمة (سمع) باصطلاح المحدثين تعني انه تلقى واخذ سمع شيخه يحدث بذلك الكتاب .

٤- يحيى بن عبد العزيز القرطبي (٢٩٥ هـ = ٩٠٧ م) سمع بمكة من علي بن عبد العزيز .

٥- قاسم بن أصبغ (٢٤٧ / ٣٢٤ هـ = ٨٦١ م/ ٩٣٥ م) تقريبًا : هذا من أشهر العلماء ، وقد أخذ العلم بمكة عن محمد بن اسماعيل الصائغ وعلي بن عبد العزيز .

٦- محمد بن عبد الله الخولاني (٩٠٧م = ٢٩٥ هـ) سمع بمكة من علي بن عبد العزيز وغيره .

وفى القرن الرابع : نجد من بين أولئك العلماء :

١) محمد بن عبد الله بن يحيى (٢٨٤ / ٣٣٩ هـ = ٨٩٧ / ٩٥٠ م) وهو من أجلة علماء الأندلس وكبار قضاتها وممن أخذ العلم بمكة عن ابن المنذر والعقيلي وابن الأعرابي .

٢) محمد بن أحمد بن مفرج : سمع بمكة سنة ٢٣٧ هـ = ٨٥١ م من ابن الأعرابي وغيره وسمع بجدة وبالمدينة المنورة .

٣) عمر بن عبد الملك بن سليمان الخولاني ، ذكر ابن خير في « الفهرست » أنه روى سنن أبي داود بسنده اليه . وهذا رواها عن ابن الاعرابي بمكة سنة ٣٣٩ / ٣٤٠ = ٩٥٠ / ٩٥١م .

٤) عبد الرحمن بن خلف الاقليشي ، رحل إلى مكة سنة ٣٤٩ هـ = ٩٦٠ م فأخذ العلم عن أبي بكر الآجري وأبي حفص الجمحي .

٥) منذر بن سعيد البلوطي (... / ٣٥٥ هـ = ٩٦٥ م) تلقى العلم بمكة عن محمد بن المنذر النيسابورى ، وعنه روى كتابه « الاشراف » فى اختلاف العلماء .

٦) كما يروي ابن خير (صحيح البخاري) بسنده إلى محمد بن أحمد المروزي بمكة سنة ٣٥٣ هـ = ٩٦٤م وهذا يرويه بسنده إلى البخارى .

٧) ويروي ابن خير « تاريخ البرقي فى رجال الموطأ » بسنده إلى علي بن أحمد بن شعيب بمكة سنة (٣٨٨ هـ = ٩٩٨ م) بسنده إلى المؤلف .

وفى القرن الخامس : نجد من بين العلماء الاندلسيين :

١- عبدالوهاب بن محمد القرطبي المقرئ (٤٠٣ / ٤٦١ = ١٠١٢ / ١٠٦٨ م) سمع بمكة على أبي العباس الكازريني .

٢- عمر بن محمد السجزي الذي روى ابن خير بسنده اليه صحيح مسلم وقد حدث به بمكة سنة ٤٠٣هـ = ١٠١٢ م .

٣- ويروى ابن خير الاشبيلي « سيرة النبي » ﷺ ، لابن طرخان التميمي بسند إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن منظور وهذا يرويها عن أبي ذر عبد بن أحمد الهروى قراءه عليه فى المسجد الحرام عند باب الندوة سنة ٤٣١ هـ = ١٠٣٩ م .

٤- ويروى « سنن الترمذي » بسنده إلى محمد بن أحمد الاردشتاني بمكة سنة (٤٥٥ هـ = ١٠٦٣ م) بسند إلى المؤلف .

٥- ويروي كتاب « التلخيص فى القراءات الثمان » لعبد الكريم بن عبد الصمد الطبري المكي بسند إلى أحمد بن شعبان المقرئ عن المؤلف بمكة سنة (٤٧٣ هـ = ١٠٨٠ م) .

٦- محمد بن عبد الرحمن الاشبيلى (٤٥٠ هـ = ١٠٥٨م تقريبا) تلقى العلم بمكة عن رزين بن معاوية إمام المالكية .

٧- عمر بن حسن الهوزنى (٤٦٠ هـ = ١٠٦٧ م) سمع في طريقه إلى مكة كتاب « صحيح البخاري » وعنه أخذ كثير من علماء الأندلس روايته .

وفى القرن السادس نجد من بين اولئك العلماء :

١- محمد بن الحسين الميورقي : قرأ بمكة سنة (٥١٧ هـ = ١١٢٣ م) على عبد الله بن محمد البيضاوي ، وعبد الملك ابن ابي مسلم النهاوندي .

٢- محمد يوسف المرسي : سمع بمكة سنة (٥٢١ هـ = ١١٢٧ م) من رزين بن معاوية .

٣- محمد بن عبد الله بن العربى (٤٦٨ / ٥٤٣ هـ = ١٠٧٥ / ١١٤٨ م) الإمام المالكي الجليل ، ذو التصانيف الكثيرة في الحديث وغيره ، سمع بمكة الحسين الطبري وابن طلحة وابن بندار وله رحلة إلى المشرق نقل عنه ابن رشيد الفهري وغيره . ومنها قطعة نشرها استاذنا الدكتور إحسان عباس فى مجلة « الابحاث » قبل ثلاث سنوات ، لا تختلف كثيرا عن القطعة التى ذكرها الكناني ، الموجود في مكتبته في خزانة الرباط .

٤- أحمد بن عيسى : سمع بمكة سنة (٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م) « جامع الترمذي » من أبي الفتح الكرخي .

٥- طارق بن موسى بن يعيش (... / ٥٤٩ هـ = ١١٥٤ م) سمع بمكة من الحسين بن علي الطبري وعبد الباقي الزهري ، وعنه أخذ كتاب « الاحياء » عن مؤلفه الغزالي .

٦- خلف بن فرج بن خلف : لقي بمكة سنة (٥٠٥ هـ = ١١١١ م) رزين بن معاوية الاندلسي ثم المكي ، فروى عنه كتاب « تجريد الصحاح » من تاليفه .

٧- الحسين بن محمد بن الحسن الانصاري : (... / ٥٨٥ هـ = ١١٨٩ م) روى بمكة « صحيح البخاري » عن علي بن حميد الطرابلسي .

٨- مساعد بن أحمد بن مساعد الاصبحي (٤٦٨ / ٥٤٥ هـ = ١٠٧٥ / ١١٥٠م) لقى بمكة أبا عبد الله الطبرى فسمع منه صحيح مسلم .. ولقى أبا محمد بن العرجاء وأبا بكر بن الوليد الطرطوشى وأصحاب الإمام أبي حامد الغزالي وممن لقي امرأة تعرف بصبّاح ، عند باب الصفا ، وكان يقرأ عليها بعض التفاسير ، فجاء بيت شعر شاهد فسألت : هل له صاحب ؟ فسألوا الشيخ أبا محمد بن العرجاء فقال الشيخ : لا أذكر له صاحبا فانشدت :

طلعتْ شمسُ مَنْ أحبك ليلا ... واستضاءت فمالها من مغيب
إنَ شمس النهار تغرب بالليل ... وشمس القلوب دون غروب

٩- محمد بن جبير (٥٤٠ / ٥٩٩ هـ = ١١٤٥ / ١٢٠٢م) صاحب الرحلة المعروفة ومن رقيق شعره :

بدت لي أعـــلام بيت الهـــدي بمكـة والنـور بـاد عـليـــــــه
فـأحـــرمت شـــوقـــا له بالهـــوى وأهـديـت قـلـبـيَ هَدْيًا الـيـــــــه

وقد تحدث في رحلته عن مكة وعن علمائها .

١٠- ابراهيم بن منبه الغافقى سمع بمكة سنة (٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م) صحيح البخاري من سلطان بن ابراهيم المقدسي عن كريمة المروزية ، ونقل عن أبي ذَرِ الهروي وهو من علماء مكة ، أنه قال عند موته : عليكم بكريمة ، فإنها تحمل كتاب البخارى من طريق أبي الهيثم - يقصد ترويه بإسناد عال - .

وفى القرن السابع من أشهر أولئك العلماء :

١- محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن رُشيدْ - بضم الراء (٦٥٧ / ٧٢١هـ = ١٢٥٨ / ١٣٢١ م) وهذا من أشهر علماء الاندلس وقد قام برحلة إلى بلاد المشرق ودوّن كثيراً مما شاهده بكتاب سماه « ملء العيبة » فى خمسة أجزاء ، بقي منها أربعة بخط المؤلف ، وقد خص الحجاز بقسم تحدث فيه عن كثير من أحواله وذكر من اجتمع به فيه من العلماء ، وقد نشرنا ذلك القسم في المجلد الثالث من مجلة « العرب » .

٢- محمد بن ابراهيم بن غصن الاشبيلي (٦٣١ / ٧٢٣ هـ = ١٢٣٣ / ١٣٢٣م) من كبار علماء الأندلس ، وقدم مكة حاجًا فتصدى للتعليم فأقرأ القرآن بها ، وممن قرأ عليه الشيخ خليل امام المالكية ، وشهاب الدين الطبري إمام الحنفية .

هذه اشارات ولمحات موجزة عن صلة علماء من أقصى الأقطار الإسلامية وأبعدها عن مكة المكرمة ، وسيقول قائل : وماذا عن علماء العراق والشام ومصر ؟ فالجواب : (شُبَّ عَمْرو عن الطوق !!) فصلات هذه الأقطار بأم القرى مما لا تتسع له صفحات صحيفة بل تضيق عنه مجلدات الكتب . ولابد من الإشارة - ولو بإيجاز - إلى أن هذه الأقطار الثلاثة ، وقد حفلت بالعلماء وبما يحتاج إليه أولئك مما ييسر لهم سبل الحياة الناعمة الهادئة ، قد اتجهوا اتجاهًا آخر يحتاج تفصيله إلى تطويل .

وعن **جنوب الجزيرة** التي هي أقرب فى حياتها الاجتماعية الى حياة سكان

الحرمين ، والقرب – دائمًا في نمط الحياة – من وسائل التقارب في الأفكار ، فماذا كان أثر هذا التقارب في الأفكار ؟!

والجواب : لقد نبغ فى **القرن الثالث والرابع فى اليمن** علامة جليل لم يفارق تلك البلاد . ومع ذلك فقد بلغت مؤلفاته الأندلس في حياته ، وهو الحسن بن أحمد الهمداني [١] ...

ففي مؤلفاته إشارات ألقت الضوء على مالمكة المكرمة من أثر فى الحياة الثقافية ، فقد روى الهمداني « السيرة النبوية » التي ألفها محمد بن اسحاق عن عالم مكِّي هو الخضر بن محمد بن داود ، والمعروف عند المشارقة رواية السيرة بطريق عبد الملك بن هشام عن البكائى عن المؤلف وعند المغاربة عن ابن بكير ، ولكن طريقة المكيين وروايتهم السيرة عن الخضر لم يذكرها سوى الهمداني فيما علمت ، مع أن لهم رواية أخرى أو روايات أخرى نجد إشارات عنها في كتابي الأزرقي والفاكهي عن مكة .

وهنا جانب عظيم الأهمية فى تاريخ نشر الثقافة الاسلامية وحفظها ، لم أر أحداً من الباحثين تعرض له وهو أن جزءاً مُهِماً من تراثنا لم نعرفه ولم يصل إلينا إلا بطريق علماء المغرب فقد قاموا بنقله إلى بلادهم بعد تلقيه أثناء قدومهم إلى مكة ، وتولوا حفظه بالرواية والنقل ، واستفادوا منه ، ثم عاد إلينا بطريق ما خلفوه لنا فى تراث ثقافى ضخم ، وحسبي الإشارة إلى ثلاثة أعلام من علماء الجزيرة عرفهم علماء الأندلس ، ونقلوا مؤلفاتهم . ولم يعرفهم علماء المشرق إلا بطريق أولئك وهم محمد بن اسحاق الفاكهي ، مؤرخ مكة ، وأبو على هارون بن زكريا الهجرى [٣] ، والحسن بن أحمد الهمداني . مؤرخ اليمن وعالمه .

ولقد برَّز علماء المغرب على غيرهم فى تدوين الرحلات ، ولعل هذا يرجع إلى بُعْدِ ذلك القطر عن حواضر العلم ومراكز الثقافة في الحجاز والشام والعراق في العصور الأولى ثم مصر و (اسطنبول) في العهود المتأخرة ، ففي هذه الحواضر والمراكز نشأت

---

(١) انظر ترجمته في مقدمة كتاب « صفة جزيرة العرب » (دار اليمامة) .

(٢) أنظر (العرب) ص ٨٤٣ س ٨ .

(٣) أنظر (أبو علي الهجري) ص ١٠ – ٦٩ – ٩٦ .

(٤) أنظر ص ٢١ مقدمة « صفة جزيرة العرب » نشر (دار اليمامة) .

الثقافة العربية الاسلامية أول ما نشأت ، ثم ما زالت تنمو حتى تكاملت فروعها ، ورسخت أصولها . وبلاد المغرب – بمختلف أقطاره ومنه الأندلس – .

وإن كان في عصوره الزاهرة يمد تلك الثقافة بروافد قوية إلا أن علماءه كانوا – وما يزالون – يرون في تلك الحواضر . وخاصة مكة والمدينة ، مهوى لأفئدتهم ومطمحا لرغباتهم ، وملتقى روحيا تتطلع نفوسهم لبلوغه لا لأداء فريضة أوجبها الدين الحنيف فحسب ، ولكن للتزود من العلم ، وللالتقاء والاجتماع بالعلماء فى أحفل مجمع ، وأشمل ملتقى .

وللحديث عن عناية علماء المغرب بتدوين رحلاتهم إلى الحج مجال أوسع من هذا ، وحسبى أن أعرض الان إحدى الرحلات ، عرضا دعت المناسبة إليه.

ويلاحظ الباحث فى تاريخ الثقافة أن أدب الرحلات ازدهر فى العصور المتأخرة التي اعترى الجمود مختلف الجوانب الثقافية ، منذ القرن الحادي عشر الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر .

وما اخالني جانفت الحقيقة حين قلت فى حديثي في (ملتقى مؤرخ الأندلس ابن حيان) الذي أقيم فى الرباط في آخر شهر المحرم من هذا العام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨١م) ليست رحلتا ابن بطوطة وابن جبير – على جلالة قدرهما – يمدّان الباحث بفكرة كاملة عما تحويه غيرهما من رحلات علماء المغرب ، مما يتطلع إليه الدارسون لمختلف أحوال غرب الجزيرة ، من معلومات وافية .

وليس من المبالغة القول بأن في رحلات ابن رُشيد الفهري والتجيبى والعبدرى والعيَاشي والدّرعيّين أحمد بن ناصر ، ومحمدّ بن عبد السلام ، ومن بعدهم إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى – في تلك الرحلات ما يعتبر من أوفى المصادر وأشملها وأوثقها في دراسة كثير من أحوال المدينتين الكريمتين مكة والمدينة ، من ثقافية واجتماعية واقتصادية . وهذا ما لم أر أحدا من الباحثين إتجه له باعتبار تلك الرحلات تكوّن وحدة متكاملة في موضوعها .

أشهر رحلات الحج:

ولا يتسع المجال لأكثر من ذكر أهم رحلات الحج ، التي في ميسور كل باحث

الاطلاع عليها – مما يعدّ مكملا لهذا البحث – وكثير من تلك الرحلات نشرت خلاصة ما يتعلق بالحج في مجلة «العرب» .

١- رحلة ابن جبير:

محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (٥٢٨ / ٦٠٧ هـ = ١١١٣م) .

كتب بعض مشاهداته في إحدي رحلاته إلى الشرق فيما بين سنتي (٥٧٨ / ٥٨١هـ = ١١٨٢ / ١١٨٥م) فتولى أحد تلاميذه – فيما يقال – الرحلة المعروفة باسمه وقد طبعت مراراً ونالت جانباً من الدراسة من بعض الباحثين . ومنهم الأستاذ الشيخ عبد القدوس الأنصاري ، حيث ألف عنها «مع ابن جبير في رحلته» .

٢- رحلة ابن رُشَيد:

هو محمد بن عمر بن رُشيد – بضم الراء – الفهري السَبتي الأندلسي (٦٥٧ / ٧٢١هـ = ١٢٥٨ = ١٣٢١م) .

زار مصر والشام والحجاز ، بحيث وصل المدينة المنورة بطريق الحج الشامي في ٢٣ ذي القعدة سنة (٦٨٤ هـ – ١٢٨٥ م) وعاد منها بعد أن حج – عاد في ٢٨ ذي الحجة سنة (٦٨٤ هـ = ١٢٨٥ م) وعاد منها بعد أن حج – عاد في ٢٨ ذي الحجة سنة (٦٨٤هـ = ١٢٨٥م) . بطريق الساحل ماراً بالعقبة في ٢٥ محرم سنة (٦٨٥ هـ[١] = ١٢٨٦م) .

ومع عناية العلماء المتقدمين برحلة ابن رشيد ، التي دعاها «ملء العيبة ، فيما جمع بطول الغيبة ، في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة» – إلا أنها لم تصل إلينا كاملة ، وهي من أحفل الرحلات ، وأشملها ، والأجزاء الباقية منها على ما يظهر – مسودة المؤلف بخطه .

ويقوم الصديق الأستاذ الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة مفتى البلاد التونسية بتحقيق تلك الرحلة ، وقد أخبرني في ١٤ شهر ربيع الأول سنة (١٤٠٢هـ = ١٩٨١م) أنه تم طبع جزأين منها .

---

(١) وقع تطبيع فى مجلة «العرب» س (٣) – ص (٧٨٥) .

٣- رحلة العبدري؛

هو محمد بن محمد بن علي العبدري الحيحى نسبة إلى حاجة – على غير قياس – قبيلة من البربر ، في المغرب الأقصى وهومن أهل القرن السابع .

حج سنة (٦٨٩ هـ = ١٢٩٠م) مارًا بمصر ، سالكًا طريق الحج الساحلي ، فوصف ذلك الطريق منزلة منزلة ، وقد استفاد من رحلة ابن جبير، وأتى بأشياء لم يذكرها ابن جبير في رحلته .

وقد طبعت رحلته في مدينة الرباط ، بتحقيق الشيخ محمد الفاسي سنة (١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م) .

٤- رحلة التجيبي ؛

القاسم بن يوسف بن علي السبتي التجيبي (٦٧٠ / ٧٣٠هـ = ١٢٧١ / ١٣٢٩م) .

وقد حج سنة (٦٩٦ هـ = ١٢٩٦م) بطريق البحر من عيذاب ، إلى مرسى أبحر – من موانى جدة ، فوصل في ٨ رمضان من تلك السنة بعد أن أمضى في البحر ٢٤ يومًا .

ولا تعرف نسخة كاملة من رحلته ، والموجود قطعة يبدأ الحديث فيها عن مدينة القاهرة ، وينتهى بالكلام على المبيت بمنى .

وقد حقق هذا الجزء الأستاذ الصديق عبد الحفيظ منصور ، فجاء في مجلد بلغت صفحاته ٥٥٧ مطبوعا في تونس .

٥- رحلة ابن بطوطة؛

وهو محمد بن عبد الله بن محمد اللواتى الطنجي (٧٠٣ / ٧٧٩هـ = ١٣٠٣ / ١٣٧٧م) وبطوطة بتشديد الطاء الأولى المضمومة – .

ورحلته شاملة فقد زار الأقطار الاسلامية وبلاد الشرق في عهده ، واستغرق في رحلته سبعا وعشرين سنة – من سنة ٧٢٥ هـ = ١٣٢٤م) .

ونقلها عنه محمد بن جزي الكلبي في مدينة فاس سنة ٧٥٦هـ = ١٣٥٥م) وسماها : « تحفة النظار ، في غرائب الأمصار ، وعجائب الأسفار » .

وفى تلك الرحلة بعض أوهام منها ما ذكر عن شيخ الاسلام ابن تيمية ، فقد تحدث عنه حديث من حضر مجلسه ، مع أنه أدخل السجن قبل وصول ابن بطوطة إلى دمشق بأيام ، ولم يخرج من السجن .

وتعتبر رحلة ابن بطوطة أشهر الرحلات لشمولها .

وقد وجدت عناية كبيرة من الباحثين ، وترجمت إلى عدد من اللغات ، وطبعت مرات .

٦- رحلة البلوي؛

هو خالد بن عيسى بن أحمد البلوي الأندلسى من أهل القرن الثامن .

حج سنة (٧٣٨ هـ = ١٣٣٧ م) مارًا بمصر ثم بالشام ، فقد ركب مع الركب الكركي بطريق الحج الشامي فوصل المدينة في ١٩ ذى القعدة سنة (٨٣٧ هـ = ١٤٣٣م) وحج ، ثم عاد من المدينة في ٢٤ المحرم سنة (٧٣٨ هـ = ١٣٣٧م) مارًا بالعقبة فالقاهرة حيث وصلها فى ١٤ صفر سنة (٧٣٨ هـ = ١٣٣٧م) .

واسم رحلته « تاج المفرق ، في تحلية أهل المشرق » وقد وصفها صاحب « نفح الطيب » بأنها رحلة كبيرة ، كثيرة الفوائد .

وقد طالعت نسخا مخطوطة منها ، ولخصت ما يتعلق بالحج فيها ، ولا حظت اضطرابا في ترتيب منازل الحج ، أشرت إلى ذلك في مجلة « العرب » – س ١١ ص٧٣١ – .

وقد علمت منذ عهد قريب بأن تلك الرحلة قد طبعت .

٧- رحلة الصفدي؛

خليل بن أيبك الصفدي المتوفى سنة (٧٦٤هـ = ١٣٦٢م)واسمها « حقيقة المجاز إلى الحجاز » كانت منها نسخة مخطوطة في زاوية درعة في المغرب ، بخط المؤلف –

على ما ذكر ابن عبد السلام في رحلته – ونقل عنها ، كما نقل عنها صاحب « درر الفوائد المنظمة » .

وبلغني بأن في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة نسخة منها .

٨- رحلة القلصادي :

أبو الحسن على القلصادى الأندلسي المتوفي سنة (٨٩١ هـ = ١٤٨٦م) .

بلغ جده بطريق البحر فى شعبان سنة (٨٥١ هـ = ١٤٤٧م) وعاد بحراً – بعد أداء الحج – من رابغ إلى العقبة فمصر – في المحرم سنة ٨٥٢ هـ = ١٤٤٨م) .

وقد حقق رحلته صديقنا الأستاذ محمد أبو الأجفان ، الأستاذ بجامعة الزيتونة فى تونس ونشرت سنة ١٣٩٩ (١٩٧٨م) في ٢٥٦ صفحة – في تونس – .

٩- درر الفوائد المنظمة :

هذا كتاب شامل كاسمه في أخبار الحج ، وطريق مكة المعظمة – للشيخ محمد بن عبد القادر الجزيري المصري الحنبلي المتوفي سنة ٩٤٤ هـ = ١٥٣٧م) .

وقد تضمن وصفا لرحلاته من القاهرة إلى الحج – بطريق الساحل ، فهو من هذه الناحية يدخل في نطاق رحلات الحج – .

وقد طبع الكتاب عن نسخة ناقصة ، مع وجود مخطوطتين كاملتين إحداهما في (دار الكتب) في القاهرة ، والأخرى في مكتبة القرويين في فاس – انظر مجلة « العرب » س ١٢ ص ٣٣١ .

١٠- رحلة البكري :

البكريون العلماء كثيرون ، ولبعضهم رحلات ، ومما ينسب إلى أحدهم رحلة ذات أسلوب أدبي ممتع ، تضمنت وصف منازل الحج من البركة – المنزل الأول من القاهرة – إلى مكة المكرمة – بطريق سيناء ، فساحل البحر إلى ينبع فبدر ، فرابغ – .

يصف الكاتب المنزل نثراً وشعراً – بدون تكلف – .

وقد وصف العياشي تلك الرحلة بقوله : قد ظفرت بمصر رسالة للشيخ محمد

البكري – وأظنه محمد بن الشيخ زين العابدين ، ذكر فيها الحج وديارة وذهاباً وإياباً ، وحقق قدر ما في كل مرحلة من الساعات والدرج والدقايق ، وصعوبتها وسهولتها ، بنثر بليغ وعبارات رائقة .

وذكر في كل منزلة شعراً يتعلق بأحوالها .

والبكري الذى ظنه العياشي صاحب تلك الرحلة هو زين الدين محمد بن زين العابدين محمد بن محمد البكري الصديقي المصري ، له مؤلفان فى تاريخ الدولة التركية ذكرهما الخير الزركلي في «الأعلام» وأرخ سنة وفاته (١٠٢٨هـ= ١٦١٨م) .

ولم أطلع على رحلته مفردة ، ولكنني وجدت وصف المراحل تامّة في رحلات العياشي وابن ناصر وابن عبد السلام وابي مدين ، فنشرتها في «العرب» .

١١- رحلة البكري؛

من أهل **القرن الحادي عشر** ، لخصها الدكتور أحمد سامح الخالدي ، ونشر الملخص فى مجلة «الرسالة» التي كانت تصدر في القاهرة ، واسم الرحلة «الحقيقة والمجاز» ومخطوطتها في دار الكتب المصرية .

١٢- رحلة القيسي؛

محمد بن أحمد القيسي – من أهل **القرن الحادى عشر** ويعرف بابن مليح – .

١٣- رحلة العياشية؛

أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي – نسبة إلى قبيلة آية عَيَّاش – الفاسي (١٠٣٧ / ١٠٩٠ هـ= ١٦٢٧ / ١٦٧٩م) واسمها : «ماء الموائد» من أوفى رحلات الحج ، بل هي أوفى رحلة اطلعت عليها ، وقد ورد فيها : (وقصدى إن شاء الله – من كتابة هذه الرحلة أن تكون ديوان علم ، لا كتاب سمر وفكاهة ، وإن وجد الأمران فذلك ادعى لنشاط الناظر فيها ، سيّما إن كل صاحب تلوين ، وأما صاحب التمكين فلكل شيء عنده موقع ونفع ، لا يوجد عند غيره) انتهى .

والواقع أنها كما ذكر ، فهي ديوان علم لما حوته من المباحث العلمية المتنوعة ، ومن الكلام على منازل الحج ومشاعره المقدسة ، ومن وصف شامل للحجاز في القرن الحادي عشر الهجري في مختلف حالاته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والإدارية . ثم هي كتاب سمر ومحاضرة لما تخللها من مباحث أدبية وقصص وأخبار ومقطوعات شعرية .

وتعتبر رحلة العياشي مصدراً لكثير ممن جاء بعده من الرحالين المغاربة كابن ناصر وابن عبد السلام والزبادي وغيرهم ولهذا وصفه ابن ناصر في رحلته بأنه (إمام المرتحلين في زماننا) ولخص كثيرا مما جاء في رحلته . حينا يصرح بالنقل منها وأحيانا يفوته ذلك .

وقد حج سنة (١٠٥٩ ، ١٠٦٤ ، ١٠٧٢هـ = ١٦٤٩ ، ١٦٥٣ ، ١٦٦١ م) .

وجاور في الحرمين وفي القدس وفي الخليل .

وله مؤلفات منها رحلته التى سماها « ماء الموائد » .

وقد طبعت طبعة حجرية بالخط المغربي في مدينة فاس ، (١٣١٦ هـ = ١٨٩٨م) في جزئين صفحاتهما ٥٦٦ + ٤٢٢ = ٨٧٨ + ٢٤ فهارس وتقاريظ وإصلاح تطبيع .

ثم أعيد نشرها – بطريقة التصوير سنة (١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م) ووضع الأستاذ محمد حجي أستاذ التاريخ في كلية الآداب في مدينة الرباط لها فهارس مفصلة عن أسماء الأعلام والمواضع والكتب ، طبعت ملحقة بالجزء الثاني من تلك الرحلة في خمسين صفحة .

١٤-رحلة القيسي :

محمد بن أحمد القيسي ، من أهل القرن الحادى عشر – ويعرف بابن مليح – .

واسم رحلته « أنس الساري السارب ، من أقطار المغارب ، إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب » .

وقد طبعت في الرباط سنة (١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م) بتحقيق الشيخ محمد الفاسي .

١٥- رحلة الهشتوكي:

وهو أحمد بن محمد بن داود بن يعزى الجرولي نسبا الهشتوكي شهرة المتوفي سنة (١٠٩٦ = ١٦٨٤م) .

يوجد فى الخزانة العامة رحلة مخطوطة يري الصديق محمد بن إبراهيم الكتاني انها للهشتوكى المذكور ولكنني رأيت في أحد المواضع منها ذكر تاريخ سنة (١٠٩٩هـ= ١٦٨٧م) وأن مؤلفها معاصر للسلطان اسماعيل سلطان المغرب الذي تولى الحكم من سنة (١٠٨٢هـ= ١٦٧١م) إلى (١١٣٩هـ= ١٧٢٦) لأنه يدعو له بالنصر وأنه اجتمع بالشيخ عبد الله بن سالم البصرى المتوفى سنة (١١٣٤ = ١٧٢١م) .

وعلى كل حال فالمؤلف من أهل القرن الحادي عشرة الهجري ، ويصف الشيخ العياشي بأنه شيخه وأسلوب الرحلة يدل على عدم تمكن صاحبها من العلم وإن كانت لا تخلو من الفوائد .

وزيادة فى الفائدة ؛ فعلى الرغم من أن هذه الرحلات التالية قد تمت بعد رحلة آولياچلبي للحجاز (١٠٨١هـ = ١٦٧٠م) إلا أننا أوردنا هاً تسهيلاً على الباحثين ، وحتى تعم فوائدها فى إلقاء الضوء على الحجاز حتى العصر الحديث . ومن أهم هذه الرحلات التى تمت بعد رحلة آولياچلبي ما يلى :

١- الرحلة الناصرية:

مؤلفها الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (١٠٥٧ - ١١٢٩ هـ= ١٦٤٧ - ١٧١٦م) .

تعتبر هذه الرحلة من أوفى الرحلات إلى الحج وامتعها . وقد اعتمد فيها مؤلفها على رحلة شيخه أبي سالم العياشي الذى وصفه بأنه شيخ الرَحَّالين ، وقد رحل ابن ناصرهذا أربع رحلات إلي الحج إحداها سنة (١١٢١ هـ= ١٧٠٩م) .

والرحلة مطبوعة طبعة حجرية بحروف مغربية في مدينة فاس سنة (١٣٢٠هـ= ١٩٠٢م) وتقع في حزئين صفحاتها ٤٤٢ .

٢- رحلة النابلسي :

هو الشيخ عبد الغني بن اسماعيل النابلسي الدمشقي (١٠٥٠ / ١١٤٣هـ = ١٦٤٠ / ١٧٣٠م) .

ذو المؤلفات الكثيرة في مختلف علوم عصره ، والذي يعنينا منها ما يتعلق بالرحلات وله ثلاث مؤلفات فيها ، أهمها واغزرها فائدة : « الحقيقة والمجاز ، فى رحلة الشام ومصر والحجاز » في ثلاثة أجزاء ثالثها عن الحجاز – في وصف طريق الحج من مصر برًا إلى المدينة ثم مكة ، ثم عاد من المدينة إلى دمشق برًا .

وقد ألف رحلته هذه على طريقة كتابة المذكرات يومًا فيومًا ، منذ أن بدأ فى الرحلة فى بلاد الشام – من مدينة دمشق حتى عاد إليها ، وقد سجل مشاهداته عن الحجاز من اليوم الثالث والثمانين بعد المئة إلي يوم عودته إلي دمشق في اليوم الثامن والثمانين والثلاث مئة – أى فى خلال مئتين وخمسة أيام – ابتداء من خروجه من مصر في سابع رجب سنة (١١٠٤ هـ = ١٦٩٢م) إلي يوم عودته إلى دمشق خامس صفر سنة (١١٠٥هـ = ١٦٩٣م) – على ما جاء فى تلك الرحلة .

وتعتبر رحلته – أو رحلاته – هذه من أمتع الرحلات ، وأحفلها بالمعلومات – مع ما فيها من آراء لا تتفق مع روح عصرنا – .

ولم تطبع هذه الرحلة بعد .

٣- رحلة المنالي الزّيادي :

هو عبد المجيد بن علي الحسني الإدريسي الفاسي المتوفى سنة (١١٦٣هـ = ١٧٤٩م) ، واسم رحلته « بلوغ المرام بالرحلة إلى البيت الحرام » ، وكان حج سنة (١١٤٨هـ = ١٧٣٥م) وضمن رحلته هذه قصيدة سماها « اتحاف المسكين الناسك لبيان المراحل والمناسك » وله شعره من نمط شعر العلماء منه قصيدة مطلعها » :

سلام على نجد ومن حلّ في نجد ... سلام مسحب زائد الشوق والوجد

يتشوق فيها إلى مغاني الحجاز .

ورحلته هذه لا تزال مخطوطة ومنها نسخة في الخزانة العامة في مدينة الرباط ،

وقد عول كثيراً على رحلة العياشي وتعتبر رحلته متممةً لرحلتي العياشي ابن ناصر ، وكذا رحلة الدرعي .

٤- رحلة السويدي:

أبو بكر عبد الله بن حسين السويدي البغدادى (١١٠٤ / ١١٧٤هـ = ١٦٩٢ / ١٧٦٠م) .

واسمها : « النفحة المسكية في الرحلة المكية » ومن نسخها المخطوطة نسخة فى مكتبة حكمة شيخ الإسلام فى المدينة .

٥- رحلة ابن عبد السلام :

هو محمد بن عبد السلام بن عبد الله الناصري الدرعي المتوفي سنة (١٢٣٩هـ = ١٨٢٣م) من بيت علم مشهور . وقد حج مرتين إحداهما سنة (١١٩٦هـ = ١٧٨١م) والثانية (١٢١١هـ = ١٧٩٦م) .

وعن الحجة الأولى ألف رحلته الكبرى وهي من أوسع الرحلات وأولها وقد رجع فيها إلي كثير من الرحلات المؤلفة قبل عهده كرحلة العياشي ورحلة العبدرى ورحلة الصفدي ورحلة التجيبي ورحلة البكري والرحلة الناصرية .

أما عن حجته الثانية فقد ألف عنها الرحلة الصغرى .

ولكن الرحلة الكبرى الأولى أوفي وأغزر فائدة من كثير من الرحلات ولا تزال مخطوطة ومنها نسخة فى الخزانة العامة فى الرباط مكتوبة فى عهد المؤلف وقد تكون مسودة تأليفه .

وسيأتى تفصيل ما أجمل عن هذه الرحلة .

٦- رحلة التامراوي :

هو محمد بن محمد المزواري التامراوي من المغرب الأقصى حج سنة (١٢٤٢ هـ = ١٨٢٦م) .

وقد أورد رحلته كاملة صاحب كتاب « المعسول » - ج ٨ ص ١٩٧ . وهي موجزة جداً ولكنها لا تخلو من فائدة مع وقوع تحريف في أسماء المواضع .

٧- رحلة إدريس العلوي :

هو إدريس بن عبد الهادي العلوي الحسني الفاسي المتوفى فى المدينة سنة (١٣٣١ = ١٩١٢م) .

وصف رحلته إلى الحج سنة (١٢٨٨هـ = ١٨٧١م) .

وقد أبحر من السويس إلى ينبع .

وهي رحلة مختصرة جداً ومخطوطتها في خزانة الرباط .

٨- رحلة ابن كِيران :

هو محمد بن الطيب بن كيران الفاسي المتوفي سنة (١٣١٤هـ = ١٨٩٦م) واسم رحلته : « الرحلة الفاسية الممزوجة بالمناسك المالكية » وصف فيها رحلته إلى الحج سنة (١٢٩٣ = ١٨٧٦م) وقدم بطريق البحر فى الباخرة .

وهذه الرحلة مطبوعة فى مدينة فاس ولكننى اطلعت على مخطوطة فى خزانة الرباط . وهى لا تخلو من فوائد وخاصة فى وصف الطريق بين مكة والمدينة .

٩- الرحلة الحميدية :

مؤلفها اسماعيل الحميدي المالكي . وقد يكون مِصْرِيًا ، وهو من أهل القرن الثالث عشر حج سنة (١٢٩٧هـ = ١٨٧٩م) عن طريق السويس إلى جده .

ومخطوطة هذه الرحلة التي أطلعت عليها موجودة في خزانة الرباط ، وهي ممزوجة بالمناسك ، ومع اختصارها ففيها فوائد .

١٠- رحلة التونسي :

هو محمدبن عثمان السنوسي التونسي (١٢٦٦ - ١٣١٨هـ = ١٨٤٩م - ١٩٠٠م) وقد حج سنة (١٢٩٩هـ = ١٨٨١م) .

والتونسى من مشاهير علماء تونس ، وقد بُدِئَ فى نشر رحلته فى تونس فصدر منها جزء فى التراجم .

ورحلته وافية المباحث وهو يعني بتواريخ العلماء وتراجمهم ، مع تسجيل واف لمشاهداته فى مكة وفى المدينة ، ووصف لمنازل الحج إلى الشام ، حيث عاد مع الحاج الشامى .

ومن رحلات أهل القرن الرابع عشر - العشرين الميلادي وهي كثيرة :

١- **دليل الحج** ، للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج ، تأليف محمد صادق . كتاب يشمل ثلاث رحلات للمؤلف :

(١) من الوجه إلى المدينة المنورة ومنها إلي ينبع في سنة (١٢٧٧هـ = ١٨٦٠م) .

(٢) للحج سنة (١٢٨٧هـ = ١٨٧٠م) أمينًا للصرة وهذه الرحلة وصفها في كتاب سماه « مشعل المحمل » .

(٣) للحج سنة (١٣٠٢هـ = ١٨٨٤م) وصفها بكتاب سماه « كوكب الحج » جمع هذه الرحلات الثلاث في هذا الكتاب الذي طبع سنة ١٣١٣ (١٨٩٦م) في ١٥٢ صفحة وفيه صور .

٢- **مشعل المحمل** ، تأليف محمد صادق يصف فى هذه الرحلة سير الحاج من مصر برًا في الذهاب والإياب - في سنة (١٢٩٧هـ = ١٨٩٧م) - مطبوع سنة (١٢٩٨هـ - ١٨٨٠م) في ٦٠ صفحة (وقد ضمنه كتابه « دليل الحج » المتقدم ذكره) .

٣- **التحفة اليمنية في الأخبار الحجازية** : لمحمد اليمني بن علي بن عرعار محار العنابي الجزائري . مطبوعة فى القاهرة سنة (١٣١١هـ = ١٨٩٣م) في ٣٩ ص .

٤- **الرحلة الوهبية إلى الأقطار الحجازية** - تأليف أحمد علي الشاذلي - صاحب جريدة الإسلام : وصف موجز لرحلة المؤلف لأداء الحج سنة (١٣٢١هـ = ١٩٠٣م) في ٨٦ ص صغيرة وهي على إيجازها تحوى وصفًا مجملاً عما يسود الحجاز في ذلك العهد من الفوضى واختلال الأمن .

٥- **مرشد الحجاج إلى الأماكن المقدسة** ، تأليف محمد حسن غالي ، مطبوع في الرحمانية في القاهرة سنة (١٩٢٣م) في ٢٠٠ ص .

٦- **مرآة الحرمين** ، تأليف اللواء ابراهيم رفعت باشا (١٢٧٣ / ١٣٥٣هـ = ١٨٥٦ / ١٩٣٤م) أمير الحج المصري في سنة (١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٥ هـ =

١٩٠٢ ، ١٩٠٣ ، ١٩٠٧م) – كتاب من أمتع كتب الرحلات وأوسعها يقع في مجلدين صفحاتها ٥٢٨ + ٤٠٧ = ٩٣٥ يَزْدَانُ بالصور والخرائط المتقنة ، بطباعة أنيقة حقًا – مطبعة دار الكتب المصرية – سنة (١٣٤٤هـ = ١٩٢٥م) (*) .

٧- **الرحلة الحجازية** ، تأليف محمد لبيب البتنوني ، وصف فيها حج الخديوى عباس حلمي سنة (١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م) وهي من أوفي الرحلات تفضيلاً عن أحوال الحجاز العامة في ذلك العهد – على ما فيها من أخطاء – وقد طبعت طباعة جيدة مصورة في سنة (١٣٢٩هـ = ١٩١١م) في ٣٣٤ ص عدا الصور والخرائط .

٨- **سياحتي إلى الحجاز** ، منسوبة إلى غريب بن عجيب الهاشمي مطبوعة في القاهرة سنة ١٩١٥ م في ٤٥٧ ص مصورة .

٩- **تذكار الحجاز** ، رحلة موجزة لعبد العزيز صبرى من مصر فى آخر عهد الشريف الحسين ، وهي على إيجازها ذات فوائد ، مطبوعة سنة (١٣٤٢ هـ = ١٩٢٣م) المطبعة السلفية وتقع في ٢٢٨ ص وفيها صور .

١٠- **في قلب نجد والحجاز** ، لمحمد شفيق مصطفى ، صحفي مصرى قام برحلة من القاهرة – بطريق فلسطين – إلى قريات الملح فالجوف فالقصيم فالرياض فمكة ، في سنة (١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م) ونشر وصف ما شاهده في جريدة السياسة ، ثم قامت دار المنار بطبع تلك المقالات في كتيب بلغت صفحاته ٦٧ ، وفيه معلومات طريفة على إيجازها .

١١- **مرشد الحاج** ، تأليف عبد الوهاب مظهر سنة (١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م) مطبوع في ١٠٣ ص .

١٢- **الارتسامات اللطاف** ، في خواطر الحاج إلي أقدس مطاف ، للأمير شكيب أرسلان (١٢٨٦ / ١٣٦٦هـ = ١٨٦٩ / ١٩٤٦م) يصف رحلته للحج سنة (١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م)في ٣٠٤ ص ويتطرق إلى وصف مكة والطائف وعمران الجزيرة ومختلف جوانب الحياة بتفصيل ، بحيث تعتبر هذه الرحلة من أمتع الرحلات وأوفارها .

(*) وهى تختلف عن مرآة الحرمين لأيوب صبرى باشا ، فهذا الكتاب فى تاريخ الحرمين والمدينين ووصف لجزيرة العرب (المترجم) .

١٣- رحلة الحجاز لابراهيم عبد القادر المازني (١٣٠٨ / ١٣٦٨هـ= ١٨٩٠ / ١٩٤٨م) في سنة (١٣٤٩هـ= ١٩٣٠م) في وصف الاحتفال بجلوس الملك عبد العزيز – رحمه الله – مطبوعة سنة (١٩٣٠م) في ١٦٦ صفحة مصورة .

١٤- مشاهداتي في بلاد الحجاز ، تأليف عبد الوهاب خضير ، كُتَيب يقع في ٤٣ صفحة يصف أول احتفال بجلوس الملك عبد العزيز – رحمه الله – في سنة (١٣٤٩هـ= ١٩٣٠م) وهو مقدم بقلم أحمد زكي باشا ومصور ومطبوع .

١٥- في المملكة الروحية للعالم الإسلامي (رحلة إلي الحجاز سنة ١٣٤٩هـ= ١٩٣١م) تأليف مصطفى محمد ، في ٢٣٠ ص مصورة ،مطبوعة بمطبعة المدينة المنورة)! .

وهكذا نرى أن نفوس كثير من المسلمين كانت تهفو إلى ديار الحجاز طوال التاريخ .. ومما لا شك فيه أن كل رحلة تحمل بين صفحاتها الكثير من المعلومات عن الحالة السياسية ، والإدارية ، والثقافية ، والإجتماعية لمنطقة الحجاز .

وحتى نستطيع أن نستفيد من الرحلة التى نحن بصددها ؛ فلابد من القاء بعض الضوء على : –

أ – الحجاز فى العصر العثمانى ، أو لنقل العثمانيون والحجاز .

ب– الرحَّالة آولياچلبي الذي قام بالرحلة .

* * *